ألف حكاية وحكاية (٥٤)

يعقوب الشارونى

صغيرة فى صيدلية

وحكايات أخرى



مكتبة مصر

ألف حكاية وحكاية (٥٤)

صغيرة فى صيدلية

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشارونى

رسوم

نسيم



مكتبة مصر

ليمون أخضر وأصفر

حكى لى صديقى، قالَ:

ذاتَ يومٍ، كُنَّا نتناولُ طعامَ الغداءِ، عندَما فاجأنى حفيدى، وعمره ٤ سنواتٍ، قائلاً:

"هذه ليمونةٌ خضراءُ، وهذه ليمونةٌ صفراءُ.."

وتوقَّعْتُ أنه سيسألُ عن السببِ فى اختلافِ اللونَيْنِ، لكنه قالَ:

"هل يختلفُ مذاقُ الخضراءِ عن الصفراءِ؟"

وجدْتُ الإجابةَ سهلةً وبسيطةً، فقلْتُ: "لا .. إن مذاقَهما مُتشابِهٌ."

وتصوَّرْتُ أن الحديثَ انتهى عندَ هذا الحدِّ، ولكنه عادَ بعدَ فترةِ صمتٍ يسألُ من جديدٍ:

"لكنَّكَ قُلْتَ لى إن البرتقالةَ الخضراءَ مذاقُها مُرٌّ، والصفراءَ مذاقُها حلوٌ!!"

قلْتُ ببساطةٍ: "البرتقالُ شىءٌ، والليمونُ شىءٌ آخرُ."

لكنه عادَ يقولُ فى هدوءٍ:

"ولكنَّكَ يومَها قُلْتَ لى: إن أشياءَ كثيرةً، عندما تكونُ خضراءَ، لا تكونُ صالحةً للأكلِ، ويصيرُ لونُها أصفرَ عندما تصبحُ صالحةً للأكلِ.."

عندئذٍ سمعْتُ صوتَ جرسِ التليفونِ يدعونى إلى حديثٍ

طويلٍ مع أحدِ الأصدقاءِ، فظننْتُ أن حفيدى نَسِىَ سؤالَهُ. لكنَّنى فوجِئتُ ونحنُ نتناولُ طعامَ العشاءِ، بعد سبعِ ساعاتٍ من الحديثِ السابقِ، بحفيدى يسألُنى:

"جدِّى .. هل كلُّ الأشياءِ التى لونُها أخضرُ، غيرُ صالحةٍ للأكلِ؟!"



سمكة وسفينتان

من تحتِ سطحِ الماءِ ، قالَتِ السمكةُ الصغيرةُ لزميلتِها الكبيرةِ :
"ما هذا الجسمُ الضخمُ الذى يطفو الآنَ فوقَنا ويحجبُ عنا ضوءَ الشمسِ ؟!"

أجابَتِ السمكةُ الكبيرةُ : "هذه سفينةٌ للركابِ ، يسافرُ عليها آلافُ المسافرينَ من ميناءٍ إلى ميناءٍ".

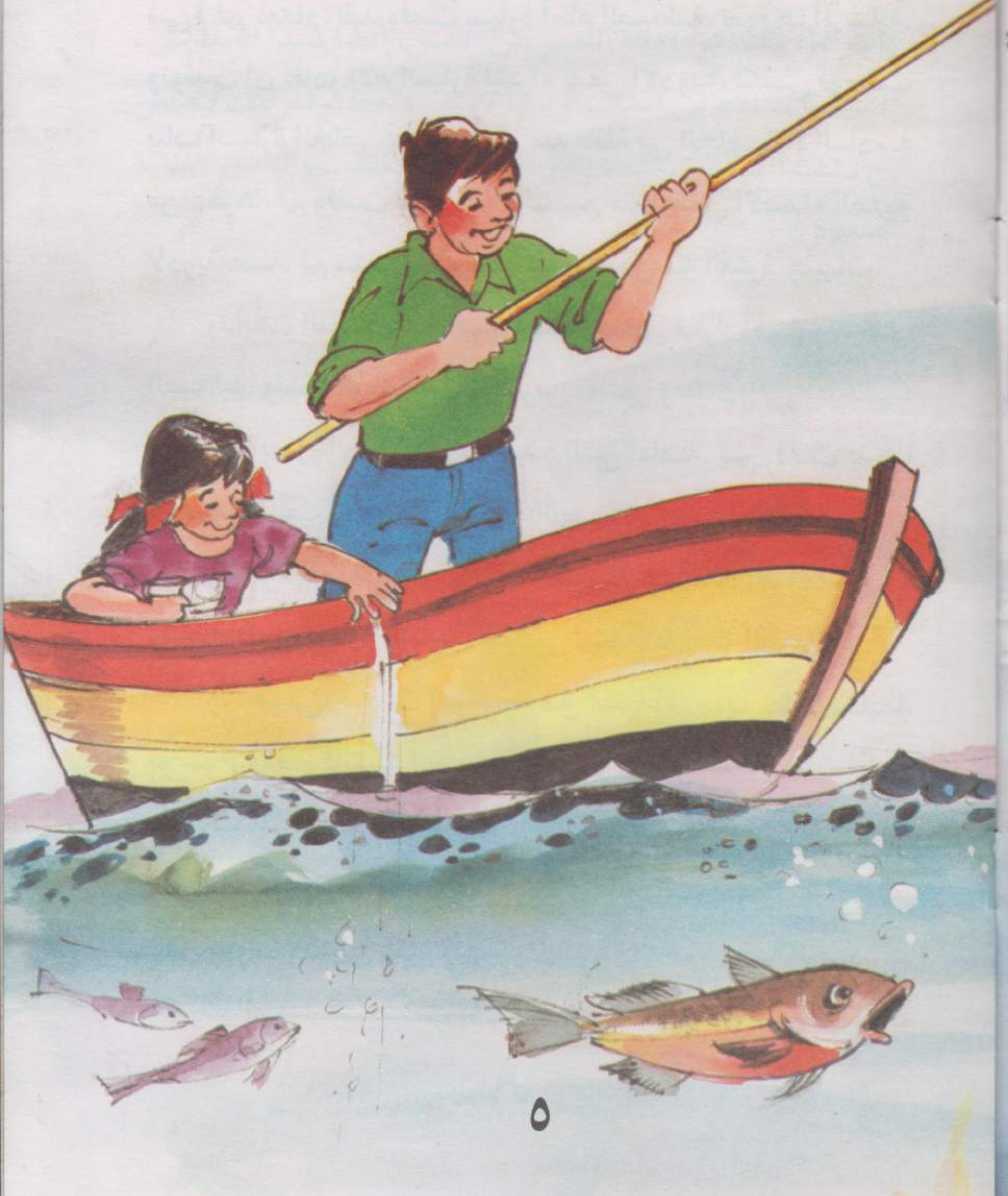
قالَتِ السمكةُ الصغيرةُ : "إننى أكرهُ هذه السفنَ الضخمةَ ، إنها تجعلُنى أشعرُ وكأننى أصبحْتُ فى أعماقِ المياهِ الباردةِ المعتمةِ ."

وابتعدَتِ السفينةُ الكبيرةُ ، فشاهدَتِ السمكةُ الصغيرةُ ظلاًّ لقاربٍ صغيرٍ يتأرجحُ على سطحِ الماءِ ، فالتفتَتْ إلى زميلتِها الكبيرةِ وقالَتْ :
"ما ألطفَ أصحابَ هذا القاربِ ! انظرى .. إنهم يلقونَ إلينا كثيرًا من الطعامِ الشهِىِّ ، ولا يحجبونَ عنَّا الضوءَ ولا الشمسَ ."

وقبلَ أن تُحذِّرَها السمكةُ الكبيرةُ من المصيرِ الذى ينتظرُها ،



كانَتِ السمكةُ الصغيرةُ قد ابتلعَتِ الطُّعْمَ ، الذى ألقاه إليها أصحابُ القاربِ اللطيفِ الصغيرِ !!



كنتُ أستعدُّ لأغادرَ إحدى الصيدلياتِ، عندما استوقفَ بصرى شيءٌ غيرُ مُعتادٍ: لقد وقفَتْ سيارةٌ أمامَ الصيدليةِ، تقودُها أمٌّ شابةٌ. وتوقَّعْتُ أن تغادرَ الأمُّ السيارةَ لشراءِ بعضِ الأدويةِ، لكننى فوجئتُ ببابِ السيارةِ الخلفِيِّ يُفتَحُ، وتنزلُ منه طفلةٌ فى الخامسةِ أو السادسةِ من عمرِها، ثم وقفَتْ بجوارِ الأمِّ لتسمعَ منها بعضَ الأسماءِ الصعبةِ لأدويةٍ معينةٍ، ثم سلَّمَتِ الأمُّ صغيرَتَها ورقةً من فئةِ العشرةِ جنيهاتٍ.

وتابعْتُ الطفلةَ بإعجابٍ ودهشةٍ، وهى تتركُ أمَّها، وتدخلُ الصيدليةَ، وتشقُّ طريقَها بينَ المُشترينَ، حتى وصلَتْ إلى الصيدلِيِّ، ورأسُها لا يصلُ إلى سطح المنضدةِ التى أمامَهُ. ثم رفعَتْ يدَها بالجنيهاتِ العشرةِ التى معَها، ليتنبَّهَ إليها.

ويبدو أن الرجلَ قد جذبَ اهتمامَهُ ثقةُ هذه الفتاةِ الصغيرةِ وشجاعتُها، فتركَ بقيَّةَ الزبائنِ، وانحنَى ليسمعَ ما تقولُهُ الصغيرةُ.

ولدهشتى، سمعْتُ الطفلة تنطقُ أسماءَ الأدويةِ نطقًا سليمًا، بوضوحٍ ودقةٍ، فابتسمَ الصيدلِيُّ، ووقفَ الزبائنُ جميعُهم يتأمَّلونَ بإعجابٍ ما يحدثُ.

وأحضرَ الصيدلىّ الأدويةَ، ووضعَها فى كيسٍ، وسلَّمَها للطفلةِ، التى تناولَتِ الكيسَ بيدٍ، وأمسكَتْ بيدِها الأخرى بقيةَ النقودِ. ثم غادرَتِ الصيدليةَ، وفتحَتْ بابَ السيارةِ الخلفِيَّ، ودخلَتْ، وأغلقَتْهُ

خلفَها.

وانطلقَتِ السيارةُ، وأنا أردِّدُ فى نفسى: "هذه أمٌّ نجحَتْ فى أن تربِّىَ فى أولادِها الثقةَ بالنفسِ، والقدرةَ على التعاملِ مع الغرباءِ، والتركيزَ، والتذكُّرَ، ودقةَ التعبيرِ عن النفسِ. أيضًا هذا الصيدلِىُّ، الذى ساعدَ الأمَّ فى أسلوبِ تربيتِها لابنتِها، عندما عرفَ كيف يتعاملُ مع ذلك الموقفِ، بتلك الطريقةِ الحافلةِ بالحبِّ والتقديرِ للطفلةِ الصغيرةِ."



حوار فى محطة روما

قالَ: "ما هِيَ اللغةُ التى تُفضِّلُ أن تتحدثَّ بها؟"

قلْتُ: "الإنجليزيةُ ."

عندئذٍ سألَ بالإنجليزيةِ: "إلى أينَ تُريدُ أن تسافرَ؟"

قلْتُ: "إلى فينسيا ." (التى نعرفُها باسمِ البندقيةِ)

سألَ: "فى أىِّ درجةٍ تفضِّل أن تسافرَ؟"

قلْتُ: "الدرجةِ الثانيةِ."

سألَ: "فى أىِّ وقتٍ تُريدُ أن تسافرَ؟"

قلْتُ: "ابتداءً من الساعةِ الخامسةِ بعدَ الظهرِ".

قالَ: "القطارُ يقومُ الساعةَ الخامسةَ وأربعينَ دقيقةً، من رصيفِ رقمِ ١٦".



وبغيرِ أنْ أقولَ شكرًا، أسرعْتُ أشترى بطاقةَ السفرِ. فقد دارَ هذا الحديثُ فى محطةِ روما الرئيسيةِ للقطاراتِ، بينى وبينَ جهازِ الكمبيوتر المُخصَّصِ للاستعلاماتِ، يُلقِى أسئلةً بعباراتٍ مُضيئةٍ على شاشةٍ صغيرةٍ، وأقولُ إجاباتى بلمساتٍ خفيفةٍ من أصابعى على مكانٍ مُحدَّدٍ إلى جانبِ الشاشةِ.

وهكذا أخذَتْ أجهزةُ المعلوماتِ الإلكترونيةِ الحديثةُ تحلُّ فى كلِّ مكانٍ من أوربا وأمريكا محلَّ البشرِ، وتتطلَّبُ منكَ درايةَ التعاملِ معَها، وإلا ضِعْتَ وسطَ الزحامِ!!



ماذا يقول لأمه؟!

حكى لى صديقٌ قالَ: أنتَ تعرفُ أننى من هواةِ صيدِ الأسماكِ.

وذاتَ مرةٍ، ذهبْتُ إلى الغردقةِ مع صديقى مصطفى ومعَنا ابنُهُ نادر، الذى كانَ يبلغُ الثالثةَ عشرةَ من عمرِهِ ، وأبحَرْنا نحن الثلاثةُ فى زورقٍ، لنصطادَ فى المياهِ العميقةِ.

وفجأةً هبَّتْ رياحٌ شديدةٌ ، فانقلبَ الزورقُ قربَ جزيرةٍ مهجورةٍ.

واستطعْتُ معَ صديقى أن نتشبَّثَ بالقاربِ حتى وصَلْنا إلى



الشاطئِ ، لكنَّ "نادر" اختفىَ. وبَحثْنا عنه فى كلِّ مكانٍ حوْلَنا، لكننا لم نعثرْ له على أثر.

وبدأتِ الدموعُ تنسابُ من عينَىْ صديقى لفقدِ وحيدِهِ، وهو يُردِّدُ بغيرِ وَعْيٍ: "ماذا أقولُ لأمِّهِ عندما أعودُ؟!"

وأخذْتُ أحاولُ تهدئتَهُ، لكنَّ اضطرابَهُ ظلَّ يزدادُ. ومرَّتْ ساعاتٌ والأبُ الحزينُ يُردِّدُ: "لن أغادرَ هذا المكانَ حتَّى آخذَ جثةَ ابنى إلى أمِّهِ".

وفجأةً شاهَدْنا أحدَ زوارقِ خفرِ السواحلِ يمرُّ أمامَنا. وعندما اقتربَ رجالُهُ مِنّا، حاولوا أن يأخذونا معهم إلى الغردقةِ، لكنَّ الأبَ أصرَّ أن يقوموا بجولةٍ حَوْلَ الجزيرةِ، لعلَّهم يجدون جثةَ ابنِهِ.

وفى محاولةٍ لتهدئتِهِ ، وافقَ رجالُ خفرِ السواحلِ، رغمَ أنَّ ظلامَ الليلِ كانَ قد بدأ ينتشرُ.

وما إنِ ابتعَدْنا بالزورقِ عن مكانِنا بضعَ عشراتٍ من الأمتارِ، حتَّى سَمِعْنا صوتَ استغاثةٍ خافتةٍ. وعندَما اتَّجَهْنا ناحيةَ الصوتِ، وجَدْنا شخصًا يتشبَّثُ ببعضِ الشُّعَبِ المرجانيةِ، ونصفُهُ الأسفلُ فى الماءِ. واكتشَفْنا أنه نادر!!

وهكذا عادَ الابنُ حيًّا إلى أمِّهِ، فقد أنقذَتْهُ عنايةُ اللهِ، إذ لولا إصرارُ الأبِ على البحثِ عن جثةِ ولدِهِ، لما وجدَ الابنُ فرصةً للنجاةِ من بردِ الليلِ وأسماكِ القرشِ.

كانَ البابُ من خشبٍ ثمينٍ، بـه نافذتـان تُغطِّيهما من الداخلِ قِطَعٌ من زجاجٍ مُلوَّنٍ على شكلِ زخارفَ عربيةٍ مُتناسِقَةٍ، ومن الخارجِ حديدٌ مُتشابِكٌ دقيقُ الصنعِ يُمثِّلُ غزلانًا وسطَ زهورٍ.

قالَ البابُ لنفسِه: "منذُ زمنٍ طويلٍ لم أتحرَّكْ من مكانى .. لا أحدَ يدخلُ ولا أحدَ يخرجُ .. لماذا أنا هنا ؟!"

عندئذٍ لاحظَ البابُ أنه لا يقفُ فى استقامةٍ كما اعتادَ، بل هو يميلُ مُستنِدًا إلى الخلفِ إلى ... إلى ماذا؟!

وفى دهشةٍ اكتشفَ أنه يستندُ إلى بابٍ آخرَ!! بابٍ ليسَتْ به زخارفُ ولا نقوشٌ ولا زجاجٌ مُلوَّنٌ..

وتلفَّتَ حولَهَ .. ما كلُّ هذه الأبوابِ والنوافذِ التى تُحيطُ به؟! عشراتٌ من النوافذِ والأبوابِ، كلُّها تستريحُ فى كسلٍ بجوارِ بعضِها، أو مستندةً إلى بعضِها تحتَ وَهَجِ الشمسِ.

ولم يفهمِ السرَّ إلا فى نهايةِ النهارِ. فقد جاءَتْ سيارةٌ، وحملَتِ البابَ، وذهبَتْ به إلى بيتٍ صغيرٍ فى شارعٍ ضيقٍ .. هنا سيبدأ حياةً جديدةً ، حيثُ وجدَ له مكانًا فى مدخلِ البيتِ ، الذى لم يكنْ له باب يحرسُه.

إنه لن يعودَ إلى القصرِ الكبيرِ الذى عاشَ فيه مراحلَ عمرِهِ الأولى .. لكنْ لا بأسَ .. أن يستخدمَهُ الناسُ فى الدخولِ والخروجِ،

ثم يحرصوا آخرَ الليلِ على إغلاقِهِ ليُشعِرَهم بالأمانِ، هذا خيرٌ من بقائِهِ مُهمَلاً فى فناءِ متجرِ بائعِ الأبوابِ والنوافذِ القديمةِ، ينتظرُ فى مَلَلٍ مَنْ يأتى ليُنقِذَهُ من الإهمالِ والتشقُّقِ، تحتَ حرارةِ الشمسِ الحاميةِ.



اغرسى جذورك فى الأرض

هبَّتِ الرياحُ ، فسقطَتْ بلحةٌ من فوقِ النخلةِ العاليةِ .

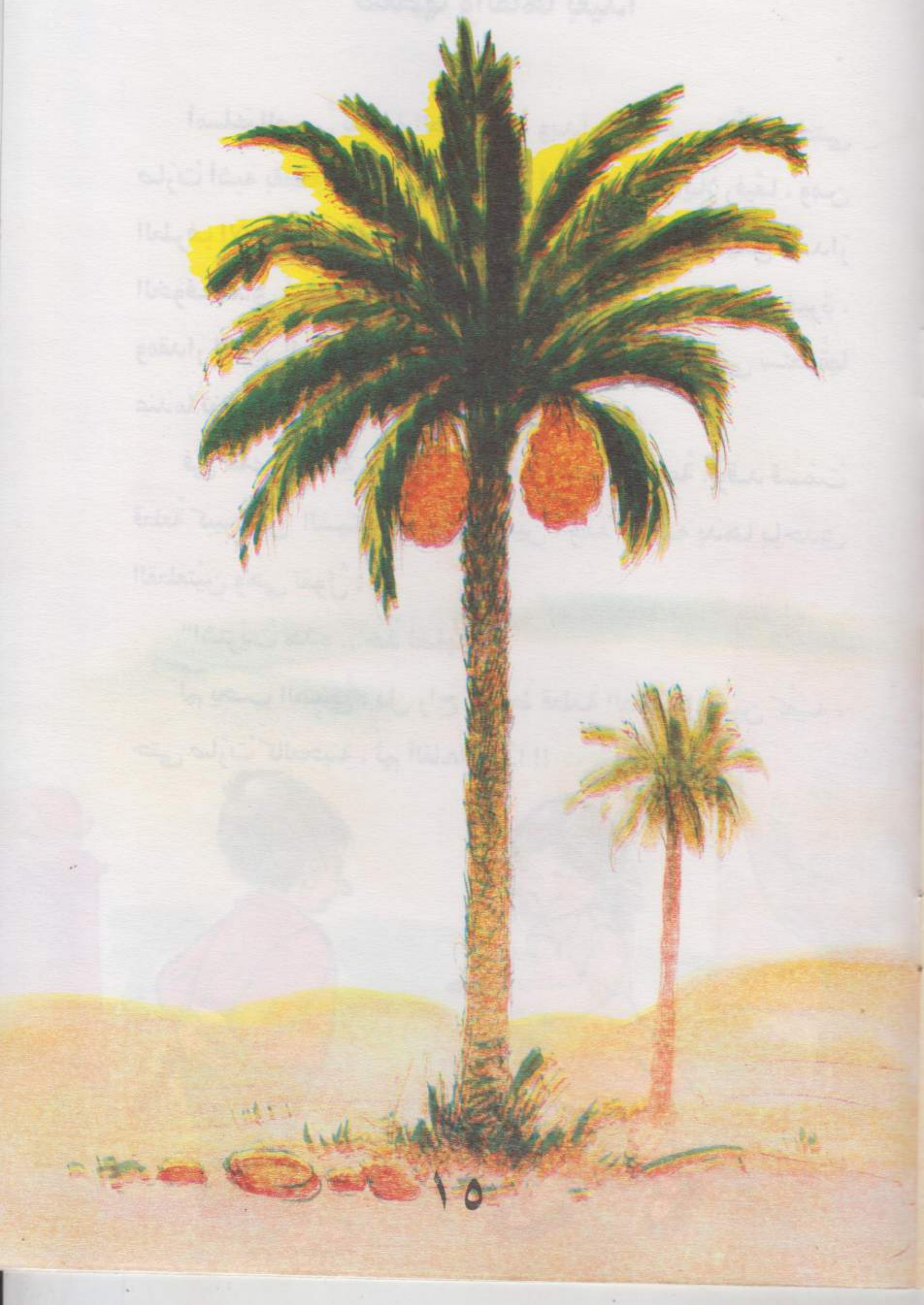
كانَتِ البلحةُ صفراءَ تلمعُ ، كأنها مصنوعةٌ من الكهرمانِ النقىِّ ، لكنها استلقَتْ على الأرضِ الجافةِ السمراءِ لا يهتمُّ بها أحدٌ ، فقالتْ لنفسِها :

" كم كنْتُ سعيدةً وسطَ سعفِ النخلةِ ، بينَ إخوتى من البلحِ .. أمَّا الآنَ ، وأنا على الأرضِ ، فإننى من مكانى هذا لم أعُدْ أرى مياهَ النيلِ العظيمِ ، ولا المزارعَ المتراميةَ الخضراء ، أو تلالَ المُقطَّمِ الممتدةَ الصفراءَ .. "

واشتدَّ إحساسُ البلحةِ بالحزنِ ، فصاحَتْ تتوسَّلُ : " خُذينى أيَّتُها النخلةُ بين سعفِكِ . "

لكنَّ النخلةَ الحكيمةَ أجابَتْها :

" يالَكِ من غبيةٍ !! لقد خرجْتُ أنا نفسى من الأرضِ . أخرجى جذورَكِ بسرعةٍ ، واغرسيها قويةً عميقةً ، وسوف تُصبحينَ أنتِ نفسُكِ ذاتَ يومٍ ، نخلةً عاليةً شامخةً ! "



ضغطها وألقاها بعيدًا

أمسكَ الصبِىُّ بقطعةِ الصلصالِ ، وبدأ يبرمُها بين كفَّيْهِ ، حتى صارَتْ أشبهَ بقطعةِ حبلٍ ، ثم جعلَ من أحدِ طرفَيْها ذيلاً رفيعًا ، ومن الطرفِ الآخرِ رأسًا يخرجُ منه لسانٌ مشقوقٌ ، وراحَ يتخيَّلُ مقدارَ الخوفِ الذى يُسبِّبُهُ منظرُها وهى تتلوَّى فى طريقِ أختِهِ الصغيرةِ ، ومقدارَ الفزعِ الذى سيرتسمُ على وجهِها ، والصرخةَ التى ستُطلِقُها عندَما تظنُّ أنها داسَتْ على جسمِ ثعبانٍ !!

فى تلك اللحظةِ ، شاهدَ أختَهُ تُقبِلُ نحوَهُ مُبتسمةً ، وقد قسمَتْ قطعةً كبيرةً من الشيكولاتةِ إلى قسمَيْنِ ، ومَدَّتْ إليه يدَها بإحدى القطعَتيْنِ وهى تقولُ :

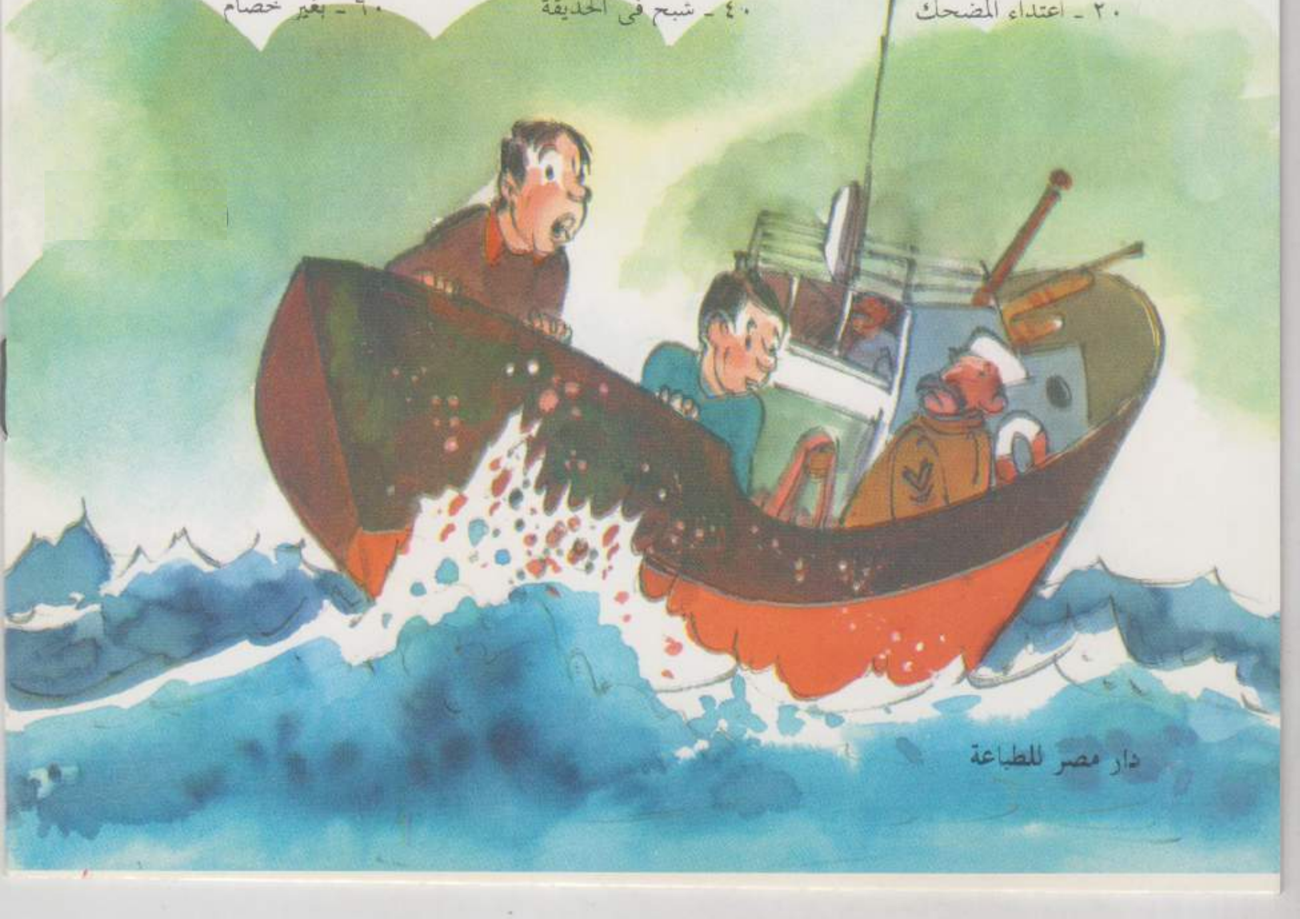
"اشتريْتُ هذه .. خُذْ نصفَها .."

لم يجبِ الصبِىُّ ، بل راحَ يضغطُ قطعةَ الصلصالِ بين كفَّيْهِ ، حتى صارَتْ كالعجينةِ ، ثم ألقاها بعيدًا !!



صدر من هذا السلسلة

١ ـ كيس الخصام
٢ ـ طيران بغير طعام
٣ ـ النمر لا يهزم السلحفاة
٤ ـ أسد فى المطعم
٥ ـ كلمة سحرية
٦ ـ النحلة تقود العربة
٧ ـ جحا واللاشىء
٨ ـ عيد للجميع
٩ ـ نهاية ملك المزرعة
١٠ ـ انفجار فى معمل
١١ ـ الربح فى غرامة
١٢ ـ الأسد ورائحة فمه
١٣ ـ شاى وفطائر
١٤ ـ الآلة المتكلمة
١٥ ـ جرس الإنذار
١٦ ـ الأمير والحمام
١٧ ـ الخليفة ينقذ قطة
١٨ ـ القفزة الشجاعة
١٩ ـ يشرب ماء النهر كله
٢٠ ـ اعتداء المضحك
٢١ ـ قتلتنى يا شيطان
٢٢ ـ أم لا تخاف
٢٣ ـ لا خطر الآن
٢٤ ـ تغريد جحا
٢٥ ـ ذكاء المهرج
٢٦ ـ من يحبها أكثر ؟
٢٧ ـ لحم فى الهواء
٢٨ ـ الوهم الجميل
٢٩ ـ ذهب وعاد حافيًا
٣٠ ـ أعظم يوم فى حياتى
٣١ ـ الشمس وعنقود العنب
٣٢ ـ سيدة الأزهار
٣٣ ـ حلوى لأمير المؤمنين
٣٤ ـ تظاهر بابا نون
٣٥ ـ أذكى الأذكياء
٣٦ ـ القلب الذهبى
٣٧ ـ رجل فى الهواء
٣٨ ـ هزيمة أسد
٣٩ ـ أم فوق الجليد
٤٠ ـ شبح فى الحديقة
٤١ ـ آبار فى الصحراء
٤٢ ـ جحا وأغلى الأشياء
٤٣ ـ الرائحة والرنين
٤٤ ـ رأس الذئب الطائر
٤٥ ـ حلاوة السكر تبقى
٤٦ ـ الفيضان والكنز
٤٧ ـ جحا وحصان السلطان
٤٨ ـ نار فى ذيل ثعلب
٤٩ ـ مشمش أكل كوكى
٥٠ ـ يعيش .. يعيش .. يعيش
٥١ ـ الجائزة لمن ؟
٥٢ ـ قانون الغراب
٥٣ ـ الدنيا لا تزال بخير
٥٤ ـ صغيرة فى صيدلية
٥٥ ـ طفل بين زراعى غوريللا
٥٦ ـ أم لألف طفل
٥٧ ـ حساب رأس السنة
٥٨ ـ هدية من الشمع
٥٩ ـ الاحترام للسائق
٦٠ ـ بغير خصام



دار مصر للطباعة